المفسرون :

ويتصل بالقرآن وأثره المفسرون، وهم الذين ينظرون في كتاب الله تعالى ويفسرون ألفاظه ويوضحون معانيه ويبينون مقاصده وأهدافه ، ويشرحون مافيه من قيم رفيعة ونظرات عميقة، ويظهرون فنون القول فيه وروعة البيان ،ولكي يستطيع المفسر أن يقوم بهذا كله لابدّ من أن يطلع على علوم اللغة العربية ليتغلغل إلى أسرار القول ويغوص على معانيه: والبلاغة إحدى الوسائل المهمة التي تكشف أسرار الاعجاز وتوجه الآيات التي لايمكن حملها على الظاهر: وقد شعر المفسرون بهذا العمل العظيم فأخذوا يضعون لدراساتهم القرآنية مقدمات بلاغية أو يخوضون في مباحثها حينما يتحدثون عن الآيات وبلاغتها، وصاروا ينبهون إلى أهمية ذلك: ويتضح ذلك في مقدمة تفسير الطبري وتفسير الكشاف الزمخشري، فقد أشارا إلى أهمية معرفة البلاغة لأنّ القرآن عربي وأسلوبه عربي، ولكي تكون آياته واضحة ينبغي معرفة أساليب العرب وفنون القول عندهم : وقد نعى السكاكي على المفسر الذي لايعرف من البلاغة شيئاً، قال: «الوقف على تمام مراد الحكيم – تعالى وتقدس – من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين – المعاني والبيان – كل الافتقار، فالويل كل الويل لمن يتعاطى التفسير وهو فيهما راجل» (١):

وأصبحت كتب البلاغة سبيلا تفضي إلى رحاب القرآن، ومعالم يهتدي بها الباحثون ويستعين بما فيها من ومضات مشرقة ولمحات بديعة المفسرون ومن هنا كانت البلاغة مقدمة لدراسة كتاب الله وتفسيره وإدراك فصاحته وبلاغته ،وصار الأساتذة لايقدمون على تدريس كتب التفسير إلا بعد أن يلم طلابهم بطرف من البلاغة وفنونها كما فعل يحيى بن حمزة العلوي حينما ألف كتابه «الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز» ليكون عرفاً لمن شرع في قراءة تفسير الكشاف عليه .

(١) مفتاح العلوم ص ٧٧.

وكتب التفسير كلها تتصل بالبلاغة، ولعل أهم تفسير عني بالبلاغة «الكشاف» لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ـ ٥٢٨هـ) الذي جمع فيه كثيراً من فنون البلاغة واستعان بها في فهم كلام الله وإظهار مافيه من روعة وجمال.

ويتصل بالقرآن الكريم الأصوليون وهم أصحاب الصناعة القانونية في فهم الشرع الإسلامي من كتاب الله وحديث الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستخراج أصول التشريع. وقد أثر هؤلاء في البلاغة، وفي كتبهم بحوث مستفيضة عن الخبر والإنشاء، والحقيقة والمجاز، وهي بحوث تدل على استثمار علم أصول الفقه بها.

ومن الكتب التي عنيت بالبلاغة وأثرت فيها كتاب «الرسالة» للإمام محمد بن ادريس الشافعي (ـ ٢٠٤هـ) ، وكتاب «المعتمد في أصول الفقه» لأبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي (ـ ٤٣٦هـ) وكتاب «المُسْتَصْفَى من علوم الاصول» للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ـ ٥٠٥هـ)، وكتاب «الاحكام في أصول الأحكام» لأبي الحسن علي بن أبي علي سيف الدين الآمدي (ـ ٦٣١هـ).

اللغويون والنحاة :

ومن الذين أثروا في نشأة البلاغة وتطورها اللغويون والنحاة، وقد كانت لهم يد طولى في ذلك، وظل دورهم مشهوداً منذ عهد التدوين واستطاعوا أن يسيطروا على مناهج الدرس ويرفعوا لواء المحافظة على اللغة ويردّوا المحدثين وما فجروا إليه: وأخبار الخصومة بين الشعراء واللغويين والنحاة مستفيضة، من ذلك أن ابن أبي اسحاق اعترض على الفرزدق لرفع (مجلف) في قوله:

وعضُّ زمانٍ يا ابن مروان لم يَدَعْ ... من المال إلاّ مسحتاً أو مجلف

فقال: علام رفعت «مجلف» ؟ فرد الفرزدق: على مايسوءك ويسوؤك، علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا (١) وكان الخليل بن أحمد يقول لابن منافر: وإنما أنتم معشر الشعراء تبع لي وأنا سكان السفينة، إن قرظتكم ورضيت قولكم فقلتم

(١) طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٦ وما بعدها.